(٤١) الشماتة بالناس

الشماتة بالناس خلق عام إلا من عصم الله أو أدب بأدب الدين . تعريف الشماتة : قضى الاسلام على مظاهر الشماتة وكاد يلاشيها . إنتشار الشماتة بين المسلمين فى هذا العصر على الرغم من أن الدين يحرم ذلك ويعده فساداً في العقيدة وحطة في النفس . ليس الموت موضع شماتة لو عقل الشامتون . ما جرى على لسان كسرى مع مبشره بموت بعض الملوك من أعدائه . واجب المؤمن العاقل مع من يصاب من الناس . الشامت غرّ أحمق . الشماتة دلالة من الشامت على أن من شمت فيه كان خيراً منه وأعلى منزلة . الشماتة تخرج صاحبها من حظيرة الدين وتحشره فى زمرة الهالكين . واجب المسلم عند نزول المكروه به أو بغيره . التحذير من الشماتة .

قال الله تعالى : (إن تمسسكم حسنة تسؤهم ، وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ، إن الله بما يعملون محيط »

. . . الشماتة بالناس خلق عام فى النفوس لا يخلو منه أحد إلا من نزهه الله تعالى عنه ، وخالط قلبه نور الدين وهداية الأسلام .

والشماتة هي سرور النفس بمساءة الغير . وكان هذا الخلق منتشراً فى الجاهلية ، لعدم الزواجر الدينية . فلما جاء الأسلام وهذب من طباع الناس وعلمهم أنه لا يصيب المرء إلا ما كتبه الله عليه ، وأنه لا حيلة للانسان فى دفع ما جرت به المقادير . إذ قال الله تعالى لنبيه الكريم « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا » لما جاء الأسلام بذلك اختفت آثار الشماتة نوعاً ما ومن الغريب أننا ونحن مسلمون نشاهد هذه الصفة في كثير من الناس .

فتراهم إذا نزل ملمّ بعدوهم (مع أنه لا ينبغي لمؤمن أن يعادي مؤمناً) طاروا فرحاً بهذه المصيبة ، وبدت على وجوههم علائم السرور والفرح ، كأنهم في مأمن من حوادث الدهر ومصائبه .

وكان ينبغي أن يعلموا أن كل إنسان معرض للنوازل والكوارث متى أراد الله له ذلك ، كما كان ينبغي وهم ينتسبون للاسلام أن تتطهر قلوبهم من الغل والحقد على المسلمين ، بل ذلك مايطلبه المؤمن من ربه إذ يقول كما علمه الله تعالى « ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم »

ولكن المسكين يجهله بدينه ، وغفلته عن تصاريف ربه ، يتوقع المصائب بالناس الذين ليس بينه وبينهم صلة من محبة أو مودة أو منفعة ، ولا يدري أن مصائب الناس موزعة على العباد على وفق مشيئة الله تعالى لا على وفق إرادته هو

وأدل على الجهل من هذا أن فريقاً من الناس يفرحون في موت من بينهم وبينه مقاطعة لسبب من أسباب الدنيا ، كأنما الموت من نصيب عدوهم وهم منه في حرز منيع . ولا عجب في هذا ، فذلك دأب الأعداء يتربصون بخصومهم الدوائر ليشمتوا إذا نزل بهم مكروه ، ولو تدبروا الأمر لعرفوا أن الموت لا شماتة فيه ، وأن كل نفس رهينة بأجلها ، ولن يفلت أحد من الموت مهما طال أجله.

فمن الحمق ومن الجنون وعدم الايمان أن يفرح الانسان في موت أخيه الانسان .

أراد منافق أن يتملق كسرى أنو شروان ملك الفرس . فدخل عليه يوما وهو فرح باش وقال له : بشراك ياملك الملوك فقد مات عدوك . فتقطب جبين كسرى ونظر إلى مبشره شذراً وقال له : ومن الذي أنبأك بأنني لست أتبعه إلى الرمس ، قبل أن تغيب الشمس !! إعلم أيها الغر الأحمق أنه لا شماتة في الموت

وأنها كارثة لا يسر لها العاقل ، إنما هي آجال بعضها قبل بعض ولكنها آتية . فبهت الرجل وتاب لساعته .

فالعاقل هو الذى يعلم أنه خاضع لنواميس الأقدار . ومشيئة الواحد القهار معرض لنكبات الزمان التى لا عاصم منها إلا الله تعالى ، فاذا رأى مصابا بأحد توجع له وتألم ، وبادر إلى معونته إن استطاع إلى ذلك سبيلا ، حتى ولو كان عدواً مبينا ، فانه إن فعل ذلك بأعدائه انقلبوا أصدقاء ، وعرفوا له مروءته ودينه ، وكان الله له معيناً ، فالله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه .

ولا تجدن الشامت إلا جاهلا منافقاً ضعيف الدين ، ضعيف العقل ، خسيس النفس ، ولو كان لديه مسكة من الدين أو العقل ما شمت بمخلوق مطلقاً .

ما الذي يعود على الشامتين من شماتتهم ! ! إلا أن يفهموا الناس أن الذى شمتوا به كان خيراً منهم وأعظم شأناً . وكانت حياته وسعادته قذى في عيونهم وشجى فى حلوقهم . وإذن فقد كانوا بالنسبة إليه لاقيمة لهم . فلما نزل به ما نزل انطفأت نيران الحقد والحسد من قلوبهم ، وإذن فقد كانوا حساداً حاقدين مطوية قلوبهم على ظلمات الأحن والبغضاء ، وقلوب ملئت ظلمات من أجل الدنيا ومنافستها لأهلها هى قلوب ملئت نفاقاً وزيغاً ، ولا صلة بينها وبين الايمان .

أرأيت كيف أخرجت الشماتة صاحبها من حظيرة الدين ، وزجت به فى غمار الجاهلين ؟ ! تتبرأ منه الانسانية كما يتبرأ منه الدين والكرمة والشرف . وهو بحي صفة ذميمة قضى عليها الدين الاسلامي ، فالرجوع إليها إحياء لسنة الجاهلية ، وبعث لصفة خبيثة دنية .

وهل فى الوجود من يعتقد أن المصائب وقف على غيره وأنه هو بمنجاة منها إلا أن يكون مخبول العقل خارجاً من دائرة النوع الانسانى ! !

فنحن وقد من الله علينا بنعمة الاسلام وجملنا بفضائله وآدابه ، يجب علينا إن نزل بنا حادث من حوادث الدهر أن نصبر ونردد قوله تعالى : (إنا لله وإنا إليه راجعون) لننال رحمته ورضوانه ، فاذا نزل بغيرنا ذلك الحادث تألمنا لألمه . وبذلنا جهد المستطاع فى تخفيفه عنه . وذلك هو روح الدين ، وسجية المسلمين .

فاياك أن تشمت بأحد من الناس إذا نزل به مكروه أو أصابه ضر ، فانه لايفعل ذلك إلاساقط المروءة والكرامة . فالدهر يومان . يوم لك ، ويوم عليك وإنك لا تدرى ما ادخره لك القدر وما سيفعله بك الزمان ، من الذلة والهوان.

نعوذ بالله من الأعداء الشامتين - ومن شرورهم إلى يو م الدين .

(٤٣) طمع التجار الذى دفعهم إلى الاحتكار

الاسلام دين الفطرة يساير المدنية فى أسمى مظاهرها ونظمها . ثروة الأرض موزعة فى مختلف الاصقاع . البيع والشراء ركنان من أركان الحياة الاجتماعية تحريم الاسلام إلى الاحتكار المؤدى إلى الربح الفاحش وبيان ضرر ذلك . المحتكر يعيش على حساب الناس وينعم بشقاء الناس . اليهود هم الذين وضعوا الحجر الأساسى للاحتكار وسرت عدواهم إلى من سواهم . معظم تبعة الاحتكار تقع على كاهل الحكومات . موازنة بين حال تجار هذا الزمان وتجار السلف الصالح . مثلان يوضحان هذه الموازنة . الحكومة ومهمتها أزاء المحتكرين .

قال الله تعالى : يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما .

. . . الاسلام دين الفطرة ، دين يساير المدنية فى أسمى مظاهرها ونظامها . وقد علم الله تعالى أن النوع الانسانى الذى عمر به الأرض سيبلغ من السعة والكثرة والرقي ما نشاهده الآن . وما سيصل اليه النوع الانسانى من كمال .

ومن ضرورات الاجتماع المعاملات وتبادل المصالح . وقد اقتضت حكمته تعالى أن تكون ثروة الأرض موزعة في مختلف البقاع والاصقاع ، فسخر البحار والهواء والبخار للانسان ، وأصبحت البواخر تمخر عباب المحيطات تنقل محصولات الممالك بعضها إلى بعض بطريق المبادلة أوالبيع والشراء ، ليعم الانتفاع بنعم الله تعالى على وجه لا أثرة فيه ولاطماعية .

والبيع والشراء ركنان من أركان النظام الاجتماعى وعليها تدور رحى تبادل المصالح . وقد جعل الاسلام التجارة من أشرف الأعمال التى يزاولها الانسان، وأحاطها بشروط أهمها الاكتفاء بالربح المعقول ، وعدم الاحتكار للسلع التى تمس حاجة الناس إليها حتى ولو كانت من الكماليات — أما إذا كانت طعاما أو كسوة فقد حرم فيها الاحتكار تحريماً قاطعاً .

ذلك لأن التاجر الذى يحتكر الطعام أو الكساء إنما دفع إلى ذلك بدافع الطمع والجشع الذين لم يقو إيمانه على تحلله منهما .

فالمحتكر فاسد الايمان ، فاقد المروءة ، يريد أن ينعم بشقاء الناس ، ويثرى بفقر الناس ، ويعيش عيش الترف والثراء على حساب ضرر الناس . فقد ورد : « من احتكر الطعام أربعين يوماً فقد برى من الله وبرى الله منه »

والأصل فى الاحتكار أن اليهود منذ آماد بعيدة يحلمون بأنه سيكون لهم في مقتبل الزمان دولة وصولة يعيدون بها مجد سليمان وداود عليهما السلام . ويردون إلى الوجود مملكة « يهوذا » — ورأوا أن ذلك الحلم لايتحقق لهم

إلا بالمال ، وبالمال الكثير جداً . فشمروا عن ساعد جدهم وتواصوا فيما بينهم أن يشتروا السلع التى يعرفون بتجاربهم أن سوقها سترتفع . وأن أثمانها ستغلو فيجمعونها ويختزنونها حتى إذا خلا جوّ التجارة منها أبرزوها إلى الأسواق متحكمين فى أثمانها كما يشاءون . وما زالوا كذلك حتى دانت لسلطتهم المالية أمم الأرض . واشتروا ذمم رجال الحكومات الغربية . وبذلك انتشر هذا الداء فى الناس جميعاً :

ويعمّ ضرر الاحتكار واختزان السلع (ولاسيما الأقوات) فى أزمنة الحرب حيث تكون الأيدى المنتجة قليلة ، ومما يضاعف بلاء الاحتكار أن الحكومات تغض النظر عنها فتصطلى الأمة بنار الغلاء الفاحش الذى سببه إحتكار التجار الجشعين . من يهود ومسلمين .

ومن أجل هذا بالغ الاسلام فى ذم المحتكر ، وحكم ببعده عن رحمة الله وأخرجه من عداد المؤمنين .

أما البيع فى صدر الاسلام وبين طبقة الشرفاء من التجار فهو على غير هذا الوجه . يجلب التاجر سلعته فيبيعها بسعر يومها الحاضر ولا يدخرها ، منتظراً غلاءها ، لأن هذا الانتظار إغلاق لأبواب رحمة الله على الناس .

وإليك مثلا يبين لك ما كان عليه تجار المسلمين ، من الشرف والدين ، وبعدهم عن خساسة المحتكرين .

كان « بواسط » تاجر جهز سفينة حنطة إلى البصرة ، وكتب إلى وكيله أن بع هذا الطعام يوم يفد عليك ولا تؤخره إلى غدك ، فوافق حضور السفينة رخص الأسعار ، فقال له تجار البصرة ، لو أخرت بيع هذه الحنطة أسبوعا ربحت فيه أضعاف ما تربحه اليوم . فأخره أسبوعا فربح فيه أمثاله ، وكتب إلى

موكله بذلك . فكتب إليه صاحب التجارة . يا هذا : إنا كنا قانعين بربح يسير مع سلامة ديننا . وإنك قد خالفت ، وما نحب أن نربح أضعافه بذهاب شيء من الدين. فقد جنيت علينا جناية . فاذا أتاك كتابي هذا فتصدق بثمن هذه التجارة على فقراء البصرة . وليتني أنجو من إثم الاحتكار كفافا لا عليّ ولا لي .

فانظر إلى نزاهة نفوس السلف الصالحين ، وحرصهم على دينهم ، وتجافيهم عن إيذاء المسلمين بأغلاء أقواتهم عليهم ؟ ! !

ثم انظر إلى صورة أخرى توضح لك المقت والبلاء الذى ينزل بالمحتكرين، على لسان سيد المرسلين .

يروى عن فروخ مولى عثمان بن عفان أن طعاما ألقى على باب المسجد فخرج عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو أمير المؤمنين يومئذ . فقال : ماهذا الطعام فقالوا : طعام جلب إلينا (أو علينا) فقال : بارك الله فيه وفيمن جلبه إلينا (أوعلينا) فقال بعض الذين معه . يا أميرالمؤمنين قد احتكر، قال : من احتكره ؟ قالوا : احتكره فروخ ومولى عمر بن الخطاب ، فأرسل إليهما فأتياه ، فقال : ما حملكما على احتكار طعام المسلمين . قالا : يا أمير المؤمنين ، نشترى بأموالنا ونبيع . فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس . فقال فرّوخ : يا أميرالمؤمنين : أعاهد الله وأعاهدك ألا أعود إلى احتكار طعام أبداً »

فهذا هو دستور الاسلام فى البيع والشراء ، ونحن مع أننا مسلمون وفى قطر إسلامى قد ذقنا الأمرين وقاسينا الشدائد من جشع التجار واختزانهم لضروريات الحياة من حبوب أو أقمشة أو (بترول) أو سكر أوغير ذلك . ولولا أن حكومتنا الرشيدة تداركت أمر البلاد وصدّت هؤلاء الوحوش الضارية

وضربت على أيديهم بعصى من حديد لكان الخطب أفدح والمصاب جللا ، وقد صدق الله تعالى حيث يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين »

(٤٣) السماحة فى المعاملة

السهولة واليسر أساسان من أسس الأسلام . الأسلام دين اجتماعى مبنى على تبادل المحبة والأخاء بين أبنائه . السماحة فى البيع ومستلزماتها . السماحة فى الشراء ومستلزماتها . كيف تتحقق سماحة الدائن في الاقتضاء . كيف يكون المدين سمحاً فى القضاء . سبيل ذلك في الحالتين . تألم لحال المسلمين اليوم . مخالفة المسلمين لتعاليم الدين . لو رجع المسلمون إلى تعاليم دينهم لاصلح الله أحوالهم .

قال الله تعالى : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم) . . . السهولة واليسر أساسان من أسس الاسلام الذي رفع الحرج ويسر الأمر حتى كان دين الفطرة حقاً ، دين إجتماعى مبنى على تبادل المحبة والأخاء بين أبنائه قال تعالى : (وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم) وقال جل من قائل : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) فتكاليفه سهلة لاعسر فيها ولا تضييق .

وتظهر آثار سماحة الاسلام في المعاملات ، كالبيع والشراء . فى الحديث النبوى الشريف الذى رواه البخارى والترمذي وبن ماجه حيث يقول الرسول الأعظم ﷺ (رحم الله رجلا سمحاً إذا باع، وإذا اشترى ، وإذا اقتضى

وإذا قضى) فقد دعا ﷺ بالرحمة (ودعاؤه مستجاب) للرجل الذى يستشعر السماحة فيما يبيعه . وذلك بألا يغالى في الثمن فوق ماتستحقه السلعة ، ولا يستغل قلة النوع الذى يبيعه فى السوق فيرفع ثمنه إعتماداً على حاجة الناس الملحة إليه. بل يكتفى بالربح اليسير المعقول . فانه على قلته مبارك فيه . إذ أن الذي يشترى الشيء غالياً فوق ما يستحق يشعر بمضاضة في النفس وشيء من الحقد على البائع وهذا مايريد الاسلام أن تتطهرمنه القلوب ، ويتباعد عنه البائعون والمستهلكون من المسلمين .

هذا اذا كان البيع والشراء نقداً . أما إذا كان البيع نسيئة فسماحة البائع فيه ألا يزيد فى ثمن السلعة عن بيع النقد ، مراعياً فى هذه الزيادة تأخر الثمن ديناً على المشتري ، فان ذلك فضلا على كونه منافياً للمروءة . شبيه بالربا الذي يجب أن يبتعد عنه المسلمون . هذه هي سماحة البائع .

أما المشترى فسماحته ألا يبخس الناس أشياءهم . بل يسومها بالثمن الذى تستحقه . ولا يمن على البائع بالشراء منه دون غيره . فأن الأرزاق بيد الله : وألا يفسد على البائع نظام ما يبيعه . بكثرة التقليب فيه . وألا يطالب بزيادة بعد الميزان أو الكيل . فان هذه عادة ذميمة تدل على صغر النفس وشره المشترى: كما ينبغي أن يدفع الثمن طيبة بالدفع نفسه . وبخاصة إذا كان البائع فقيراً معدما فلا يحسن التدقيق معه حتى ولو كانت السلعة شيئا هينا . بل الأفضل أن يزيده زيادة مستترة في صورة الشراء . وهى محض إحسان يجازى عليه من الله بأحسان : وألا يكثر الاخذ والرد مع البائع فيشغله عن بقية المشترين الآخرين أو عن مصالحه الأخرى وربما كان ذلك سبباً فى تضييع شئ من حقوقه أو من ثمن سلعته .

وإذا حل ميعاد الوفاء بالدين فسماحة صاحب الدين فى الاقتضاء أن يطلب حقه أو دينه في هوادة بلا عنف ، وفى لين بلا شدة ، وألا يرهق المدين . بل إن كان معسراً أنظره عملا بقوله تعالى : (وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة . وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون) وألا يطالب المدين على مشهد من الناس ومسمع خصوصاً إذا كانوا يجهلون الدين أو يتأذى المدين بالجهر . وألا يلحف فى الطلب . وألا يطالب في أوقات راحته وهناءته فينغص عليه صفو راحته وهو من أحرص الناس على قضاء الحقوق . وألا يرفع أمره إلى القضاء إلا إذا اضطر إلى ذلك اضطراراً بأن أنكر المدين أو خيف ضياع الدين بموته أو سفره أو مضى المدة القانونية على وثيقة الدين .

أما إذا كان مستعداً للدفع في وقت قريب فلا يقاضيه فيغرمه الرسوم القضائية وأتعاب المحاماة . ويشغل باله ويعطله عن أعماله بدون جدوى تعود عليه إلا الأضرار بأخيه . كل ذلك من حسن الاقتضاء .

أما السماحة في القضاء . فهى شعبة من حسن الأخلاق ، ذلك أن المدين يجب عليه من وقت الاستدانة أن يفكر في طرق الوفاء حتى إذا حل موعد الوفاء كان الدين حاضراً فيدفعه إلى صاحبه كاملا غير منقوص مقروناً بعبارات الشكر فأن ذلك يشرح صدر الدائن ويشجعه على تفريج كرب المعسرين . ولا بأس أن يتبع ذلك بهدية تكون كناء معروف الدائن . فقد ورد : من أسدى إليكم معروفا فكافئوه . فأن لم تكافئوه فادعوا له بخير حتى تعلموا أنكم كافأتموه .

ومن سوء أدب المدين أن يكلف دائنه عناء المطالبة والالحاف فيها والتردد عليه وقتاً بعد آخر . أو يضطره لرفع الأمر الى القضاء . فان ذلك فوق ما فيه من نكران الجميل يحمل صاحب الدين على عدم إسعاف مكروب ، وفى ذلك ضرر

عظيم ، وسدّ لأبواب الرحمة على آخرين . وقد ورد عن النبي ﷺ « من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله »

فانظر رعاك الله إلى أريحية الدين الاسلامي وسماحته كيف جعل المسلمين أسرة واحدة وبنى أمرهم فى المعاملات على السهولة والرفق ، حتى جعل نعم الله متبادلة بينهم بدون تضييق ولا تشديد ؟

فلو أننا سرنا على المنهج القويم ماشكا مسلم عسرا ، ولبدل الله عسرنا يسرا ولكننا آثرنا العاجلة على الآجلة ، فرمانا بالشح القاتل والحرص المهلك ، فأظلمت القلوب ، وساءت الحال ، وضاعت الثقة ، وفقدت الأمانة ، وانتشرت الخيانة ... وما كان الله ليظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون .

جمل الله نفوسنا بالسماحة ، وباعد بيننا وبين الشح والمشاحّـة ، إنه هو الهادى إلى الصراط المستقيم .

٤٤ شوق النفوس البشرية ، إلى معرفة الأمور الغيبية

القول الفصل في إدراك الغيب على لسان القرآن . شغف النفوس البشرية من أزمنة سحيقة لأدراك الغيب . الكهان والكاهنات وخطفات الجن وإلقاؤها إليهم أطمع الناس في درك الأمور الغيبية قبل مبعث الرسول . شق أنمار وسطيح وعراف اليمامة وغيرهم كانوا من مظاهر الاخبار بالغيب بما تلقفته الجن من السماء ما بين صدق مما سمعوا . وكذب مما إختلقوا . ضرب الرمل وقراءة الكف لا تختلف عن إخبار الكهان والعرافين . قراءة الفنجان وورق اللعب وطرق الحصى والسماع إلى كلام المعتوهين والمعتوهات . كل أولئك سخائف ومفتريات استفحال أمر تصديق الخرافات والشعوذة فى الشعوب الشرقية حتى كاد هـذا

أن يفسد عقائدهم ويحولهم مشركين من غير أن يشعروا . كان ينبغي أن يكون المسلمون وحكم دينهم قاطع في فساد ذلك . أن يكونوا أبعد الأمم عن تصديق هذه الوسائل كلها . من أساليب الاحتيال لسلب مال الجهلاء تنوعت التمائم تبعاً لأغراضها ومقاصدها . الزار وفساد معتقد المصدقين بحقيقة أمره التي يفهمونها للدهماء . من الأدلة على أن جميع ماتقدم مفتريات وسخائف وفتن شيطانية أنك لا تراه في الأمم الغربية التي استنارت بنور العلم والعرفان ، واجب علماء الدين إزاء هذه المفاسد العقلية والدينية

قال الله تعالى : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو . ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين .

. . . بهذه الآية الكريمة عرف الناس العقلاء المتدينون مسألة الغيب . وأنها سدت على الناس واستأثر بها الله سبحانه وتعالى : إلا ما يعلمه هو لأصفيائه وأنبيائه فيما تدعو اليه حال رسالتهم . قال تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول)

ومع أن الأمر كذلك فقد تطلعت النفوس الأنسانية إلى معرفة ما تطويه حجب الغيب عنها . ولم تقف عند ما رسمه الله لهذه المسألة. بل أخذت من عهود بعيدة تلتمس الوصول إلى معرفة المستقبل ، وتعلقت بالكهان والمشعوذين إذ كانوا يلقون إلى الناس ما تقذفه إليهم الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع قبل مبعث الرسول الكريم ﷺ .

واشتهر من هؤلاء أمثال شق أنمار ، وسطيح ، وعراف اليمامة ، ومن اليهم من الكهان والكاهنات .

وكان طرق الحصى وزجر الطير من وسائل عرفان الغيب حين ذاك وتوسع الناس على مر الدهور في هذا الباب فتعلقوا بضرب الرمل ، وقراءة الكف . ومع أن هذين علمان يزعم بعضهم أن الأول كان لادريس عليه السلام ، والثانى يقال إنه من وضع كهنة الفراعنة ، ووضعت فيه مؤلفات فى عصرنا الحاضر ما بين عربية وغير عربية ، وألف فيه بعض فلاسفة الغرب واعتمدوه ، مع أن هذين العلمين كذلك فانهما لايهديان الناس إلى معرفة ما طواه الغيب ، أضف إلى هذا ما انتشر بين ظهرانى الناس فى هذا الزمان من وسائل معرفة الغيب من قراءة الفنجان ، وأوراق اللعب ، وقياس الأثر والتوجه إلى بعض المعتوهين والمعتوهات تذهب إليهم الناس زاعمين أن هؤلاء البلة يسمعونهم أجوبة عن نوايامم وما تكنه صدورهم من الغايات والمقاصد ، وقد نجم كثير من هؤلاء فى مختلف القرى والمدن يعيشون على حساب إطلاع الناس على الغيب ، وبلغ من جرأتهم وعلمهم بغباوة أكثر الناس أن أصبحوا يعلنون عن أنفسهم في الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية . فهذا عالم روحاني يستحضر الجن ويصدر إليهم أوامره فى مختلف الشئون ليرشدوه إلى ما طواه الغيب ، وهذا يردّ الضائع ويعرف السارقين ، وذاك منوّم يرسل الأرواح الى حيث يشاء فتأتيه بالأسرار الخفية ، والمعلومات الغيبية ، وهذا . . وهذا . . . مما يطول شرحه وعدّه .

ونحن بوصفنا مؤمنين مصدقين بما جاء به القرآن الكريم لا نكترث لهذا كله مكتفين بهذا الدستور الالهى الذي حجب المخلوقات كلها عن الكشف عن الغيب.

وإن إنتشار هذه الأضاليل فى شعب ما ورواج القائمين بها لدليل على ضعف عقلية ذلك الشعب وبعده عن معرفة دينه ، وإلا فبعد أن يقول الله تعالى : قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله ، وبعد أن يقول الرسول الأعظم:

(من أتى عرّافاً أو ساحراً أو كاهناً يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) بعد هذا كله لا يصح فى بديهة العقل أن يؤمن مؤمن بتلك الترهات ..!

وقد جرّ هذا إلى الأيمان بما ينافى الأيمان بالله ورسوله : وذلك كالتوجه إلى قبور الأولياء والتمسح بأعتابهم . والطواف حولهم . واعتقاد هؤلاء العامة الجاهلين بدينهم أن أصحاب هذه القبور يملكون نفعهم وضرهم . وربحهم وخسارتهم . كما يحفظون لهم أولادهم ومواشيهم من الموت والحسد . بل ويشاركونهم فى الزراعة والماشية ويحاسبون أنفسهم ويأتون بنصيب أصحاب القبور مالاً يضعونه فى صناديق نذورهم : وقد حكى الله تعالى عنهم ذلك في قوله جل شأنه : (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم . تالله لتسألن عما كنتم تفترون)

وهذه حال لا نقول إنها كحال الجاهلية الذين اتخذوا الأصنام شركاء لله يقدمون لهم القرابين ويتوجهون إليهم بالعبادة . لا نقول هذا لأن حال الجاهلية كان أخف من حال المسلمين اليوم : فالمسلمون لهم تحت كل قبة من القباب صنم . وما أكثر هذه القباب ! !

وناهيك بخرافات التمائم ، فهذه تميمة للنظرة . وأخرى للحفظ من الجن . وثالثة لأم الصبيان . ورابعة وخامسة للقبول والمحبة والدخول على الحكام . وسادسة لتوسيع الأرزاق . وسابعة للنصر على الأعداء . وهذه أمور على سخفها وبعدها عن العقل والدين يصدقها كثير من الرجال المثقفين وغير المثقفين . أما النساء فلا يخامرهن أقل شك فى صدق هذه الخرافات :

وهناك ثالثة الأثافي وهى الزار . ويقولون عنه انه حفلات تقام للأسياد ويعنون بهؤلاء الأسياد الجن الذين لبسوا أجسام المصابات والمصابين . وينفق

في هذه الحفلات من المال مالا يصدقه العقل :

وهذا وإن فسره الأطباء بأنه نوع من اضطراب الأعصاب إلا أنه جاوز في أمتنا المصرية حد المعقول . وأصبح سبباً في تقويض دعائم الأسر الهادئة : وتخريب البيوت العامرة .

أما الكدى : وهن اللواتى يدرن حركة هذا الداء الوبيل فهن اليوم من المثريات يدخلن قصور العظماء كما يدخلن أكواخ الفقراء ويأخذن مال هؤلاء وهؤلاء بدعوى مصالحة المفاريت على من لبسوها :

أمور تضحك السفهاء منها ∴ ويبكى من عواقبها اللبيب

إننا لا نرى فى الأمم الغربية أمثال ما نراه في أمم الشرق . مع أن ديننا الحنيف صريح قاطع في فساد كل هذه المزاعم والأباطيل ! !

فواجب على علماء الأمة وحكامها وعقلائها أن يقوموا بالقضاء على هذه المفتريات حتى تطهر العقول من هذه الأرجاس . وتتطهر البلاد من تلك الأنجاس. ويتمسك الكلّ بشريعتهم الوضاءة الوضاحة حتى يقال : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا .

كشف الله عنا غمة الجهل وبصرنا بنور الدين . وهدانا إلى الطريق المستبين إنه ولىّ المتقين .

(٤٥) أين نجد الراحة

بيان أن الحياة ملأى بالهموم والأحزان . اختلاف أنواع هموم الناس فى الدنيا وبيان أسبابها . بيان أن عظماء الرجال أكثر الناس هموما . الحكمة الأهية فى هذا النظام الغريب . ليس فى الدنيا شئ يحمد إلا التزود للآخرة .

الطريق المعبد لاكتساب الراحة النسبية في الدنيا . مما يهون على المرء مخاطر الحياة تذكر من مات من الآباء والأجداد . أثر العقيدة الصحيحة في نفس صاحبها وما يتبعها من الراحة :

قال الله تعالى : (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب . وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)

. . . لا راحة في الدنيا . لأنها ليست دار راحة ولا دار إقامة حتى يطمئن إليها الأنسان .

وكيف يرى الراحة أحد وهو في كل يوم من أيام حياته يتقلب بين الهموم والأحزان . وتتوالى عليه كوارث الحدثان : ! ! فمن مشغول بطلب العيش يعاني في الحصول عليه الأمرين . ومن مشغول بجمع المال يرى فيه السعادتين ومن منغص في دنياه . لأنه لم يرزق من الأولاد ما تقر به عيناه . ومن مهموم بكيد الأعداء يرى في الانتقام لذته وشفاه .

وهكذا لا ترى أنساناً استكملت له الراحة واطمأن في الدنيا قلبه . بل أودع الله في قلب كل إنسان من هموم الحياة ما شغله : حتى الملوك الذين يظن المرء أنهم قد توفرت لهم أسباب السعادة ووسائل الراحة . لهم هموم ومشاغل بقدر ما أعطوا من حظ هذه العاجلة : وهذه حكمة إلهية عالية يعتبر بها العاقلون . ويسترشد بها المفكرون . ليعلموا أن الحياة الدنيا فانية . وأنها دار أكدار وأحزان :

وخير ما فيها أنها ظرف لتحصيل الحسنات . ودار للتزود إلى ما بعد الممات ولولا ذلك لكانت شراً مستطيرا . وبلاء كبيرا .

ولو أنك تصفحت قلوب الخلائق فردا فردا . وفتشت فى الصدور صدرا صدرا . ما وجدت أحدا منها في راحة بال . وصلاح حال .

والطريقة المثلى لمن ينشد الراحة فيها ويبحث عن اطمئنان الضمير فى فترة حياته القصيرة . أن يكون قوي الأيمان بالله تعالى . قابضاً بكلتا يديه على دينه مسلماً له تعالى أمره تسليم الموقنين . راضياً بقضاء الله وقدره فيما ينوبه . وأن يبذل نفسه وماله . فيما يرضى ربه . وأن يكون عفيفاً قانعاً مقيما لحدود الله عاملا بأوامره . مجتنباً لنواهيه : فاذا سلك هذه السبيل . وهي سبيل النجاة الحقيقية فقد اطأن قلبه . واستشعر ببرد الراحة فى صدره . (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

إذا تذكر الأنسان مصير الآباء والأجداد . وعرف أنهم قد ارتحلوا عن الدنيا بعد أن عمروا فيها طويلا . وانه لا محالة لاحق بهم . وسالك سبيلهم إذا تذكر ذلك هانت عليه صعاب الأمور . وزهدت نفسه في الدنيا . وبذل وسعه في العمل الذى ينجيه من الهول العظيم . وفى ذلك تمام الراحة وكمال النعيم

العقيدة الصحيحة تريح صاحبها من هواجس الضلال . والشرع الأسلامي كله كمال فى كمال . فمن طرح الخرافات جانباً وملأ قلبه بنور الأيمان الصحيح وذلك بأن يعتقد أن الأمر كله من الله . وإلى الله . ولا حفظ من المعصية إلا بالله . ولا قوة على الطاعة إلا بالله . ونصر ربه باتباع شريعته . إذا اعتقد ذلك كله عاش آمناً مطمئنا . ولقى ربه وهو على هدى منه وصراط مستقيم .

نسأل الله تعالى ألا يجعل هذه الدنيا أكبر همنا حتى نخرج منها طاهرين ومن شرورها آمنين .

(٤٦) كل حي مصيره للزوال

الموت حقيقة لا يرتاب فيها مرتاب . خروج الانسان خلوا من الدنيا ليس معه غير العمل والايمان . عظة الحي بأسلافه والموتى من بني زمانه . أهوال الموت وكربه . الأخطار المجهولة بعد الموت . خطأ الانسان في فهم الحياة واشتغاله برزقه المضمون وغفلته عن المستقبل غير المضمون . تقريع وتأنيب واستبطاء . الحث على التوبة واستئناف العمل للآخرة .

قال الله تعالى : « وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتاب مؤجلا » وقال جل شأنه : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، ولا تظلمون فتيلا) . . . في هاتين الآيتين الكريمتين دلالة صريحة تؤيدها المشاهدات وهي الحقيقة التي لا يرتاب فيها مرتاب . ذلك أن كل نفس مصيرها للفناء ، وأن متاع الدنيا متاع قليل مهما عمر الانسان ومهما جمع من الدنيا ، فلا بد له من يوم محدود ، وساعة معينة ، يفارق فيها دنياه ، ويخرج خالياً مما جمعت يداه .

نعم يعود الانسان إلى التراب ، وليس معه إلا ماعساه أن يكون قد ادخره للآخرة من عمل صالح بعد إيمان ثابت .

ومن رحمة الله تعالى أنه لم يترك لنا عذرا في بيان حقيقة الموت وعاقبة الانسان ، ولكن ابن آدم مخدوع مغرور ، لا يدري أن الدنيا نفسها قد وعظته بمصارع آبائه وأجداده وقد سبقوه إلى الموت والفناء .

فيأيها المغرور ، أنظر وراءك فهل رأيت من أسلافك من أخطأته المنية ونسيه الموت حتى تعلق بأذيال البقاء في الدنيا ؟ ! ثم انظر إلى ما بين يديك ، وفي كل يوم تشاهد الموت وهو يمد يده فيختطف من الحياة من كان أصح منك

جسما ، وأصغر منك عمرا ، وأوسع منك أملا ، فان لم تجد ذلك كان لك العذر فى طول الأمل والاطمئنان إلى الحياة .

أنت راحل عن الدنيا إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد ، فما عذرك فى تناسى الموت وأهواله وكربه ، وما الذى أعددته للنجاة من هول الموت ومابعده!

ألا إن الموت هو أول مرحلة من مراحل الآخرة ، فمن مات فقد قامت قيامته ، وأما ما بعده فأهوال وخطوب — لا يعلم مداها إلا علام الغيوب ، ولا يأمن شرها إلا عبد فكر واستبصر . وفى عواقب أموره تدبر ، وصحا من غفلته ، وانتبه من رقدته ، واعتصم بحبل الله فنجا .

والويل كل الويل لمن يفاجئه الموت وهو غافل عنه مشغول بحطام الدنيا .

حاسب نفسك أيها العاقل قبل أن تحاسب ، وكن على يقين من أن أبناءك وأهلك ومالك وأصدقاءك وكل ما تفتخر به من الدنيا لا يغنى عنك فتيلا عند الله ولن ينفعك إلا إيمانك وعملك ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله

فها أنت ترى أخاك الانسان يخرج من الدنيا خالياً فارغ اليد ، كما دخلها خالياً فارغ اليد ، وفى لمحة عين ينتقل من حياة إلى موت . فيصبح جسداً هامداً ثم يوارى فى قبره — ويتخلى عنه أقرب الناس إليه — دفيناً وحيداً فريداً لا أنيس ولا رفيق ، ولا صاحب ولا صديق . وعندئذ لا ينفعه إلا صديقه المخلص . وهو إيمانه وعمله .

أما أهله وولده فتشغلهم تركته أو دنياهم ، وبعد قليل يصبح من الأحياء نسياً منسيا .

مسكين ابن آدم شغل نفسه وصرف حياته فيما ضمنه الله له وهو رزقه . والله تعالى يقول : وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها

ومستودعها . كل فى كتاب مبين)

حقاً ضمن الله لكل شيء رزقه ، ولم يكلف ابن آدم إلا قليل السعى. جعله سبباً لنيل ما قسمه له .

ولكن ابن آدم من حرصه وطمعه وقصر نظره ظن أنه إذا تكالب على الدنيا نال أكثر مما قسم له ، وهو فى ذلك من الخاطئين .

مسكين ابن آدم غفل عن سبب نجاته من هول الآخرة ، وغفل عن عمل يقربه إلى ربه ، وانخدع بدنيا فانية لو أنها كلها له ما نفعته فى أخراه شيئاً . ولو بقيت له ما بقى هولها . فهو دائب العمل لما يفنى ، غافل كل الغفلة عما يبقى . أليس هذا هو الضلال المبين . ؟

فتى أيها الانسان تبصر النور فتمشى إلى الهداية ؟ وهل نور أشدّ ضياء من نور الاسلام ؟ ! ! وهل هناك واعظ أشد من الموت ؟ ! ! وهل هناك عبرة أقوى مما تراه العيون ؟ ! ! ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

سارعوا أيها المسلمون إلى الندم والتوبة ، وخذوا من دنياكم ما ينفعكم في أخراكم ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، وفروا إلى الله تأمنوا ، إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ؟

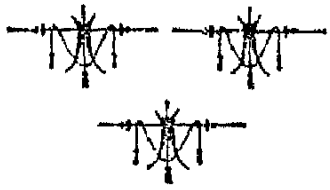

(٤٧) المواساة وأثرها فى المجتمع الانسانى

تعريف المواساة . المواساة مبعثها الرحمة والشفقة من المواسى لمن يواسيه. حظر المواساة في الدين وجوازها . أمثلة فى هذا المعنى . ماتتناوله المواساة من الأفراد والجماعات . تمثيل للمحظور من المواساة . لابد فى المواساة الحقيقية من المعونة للهادية . آثارة من أعمال السلف الصالح في هذا الباب . استئناس في الموضوع بدعاء الملائكة للمؤمنين ودليل ذلك من الكتاب. المواساة للمحزون بلسم ومرهم لجراح قلبه . المواساة في المآتم يجب أن تكون موافقة لآداب اللياقة .

قال الله تعالى : «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم . . . المواساة تخفيف الألم عن المصاب ومعاونته بما يخفف عنه ما يشعر به من حزن أو ضيق أو غير ذلك .

ومبعثها الرحمة والشفقه من المواسى لمن يواسيه .

والمواساة من الأعمال التى حث عليها الاسلام ودعا إليها فيما لا يحظره الشرع ، فمن تقدم إلى تاجر خسر فى تجارته حتى شارف الافلاس بمال يعوّض عليه بعض الخسارة فقد واساه ، ومن ساهم في بناء مستشفى أومصنع أومدرسة لتعليم اليتامى أو المتشردين أو العاطلين من أبناء الأمة فقد واساهم ، ومن دفع عن غريم بعض ما يطلب منه فقد واساه — وعلى هذا فالمواساة تجرى مجرى المروءة وعمل البر فيمن تأخذنا عليهم الشفقة أفرادا أو هيئات .

أما المواساة فيما خطره الشرع أو العقل وأبته المروءة فهى عمل باطل . فمن تقدم لمرتكب أى جريمة من الجرائم وعاونه على إتمامها والمساعدة فيها ، فلا يُعدّ مواسياً ، بل يعدّ شريكا فى الجرم . ومن تقدمت من النساء فى جنازة

فلطمت وجهها، وولولت بعويلها مواسية بذلك بعض صواحبها فلاتعد مواسية بل تعد معينة على الاثم والعصيان . كذلك من مدّ يد المعونة لمقامر خسر ماله فى القمار . أو أعان متسوّلا قادراً على العمل فلا يعد عمله مواساة ، بل هو إعانة على كثرة المتعطلين من أبناء الأمة وتقوية لهم على الكسل وخسة النفس وفقدان المروءة .

فأنت ترى من هذا أن المواساة لابد فيها من المعونة بشىء مادى غالباً .

وقد تحصل المواساة عند عدم الاستطاعة بالتسلية وتخفيف الأحزان بالحكم المأثورة ، فان لم يكن فبالتوجع للمصاب والتأثر لوقعه ، حتى يشعر المواسى بأن هناك نفساً تشاطره ما يعانيه من مضض أو حزن .

سجل التاريخ أن جماعة دخلوا على بشر الحافى فى يوم شديد البرد فوجدوه قد تجرد عن ثيابه وهو ينتفض ، فقالوا له : ماذا يا أبا نصر . فقال لهم : تذكرت الفقراء وما هم عليه من الحال وليس لى ما أواسيهم به فأحببت أن أواسيهم بما أقدر عليه .

وكان فى السلف الصالح من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته ، يقوم بحاجتهم ، ويتردد كل يوم إليهم ، ويمونهم من ماله . فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا شخصه ، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم فى حياته .

وكان أحدهم يتردد إلى باب دار أخيه يقوم بحاجته من حيث لا يعرفه أخوه

قال عطاء : تفقدوا إخوانكم إن غابوا عنكم فان كانوا مرضى فعودوهم ، أو كانوا نسوا فذكروهم ، أو كانوا مشاغيل فأعينوهم .

وقال رسول الله ﷺ فى اليوم الذى استشهد فيه جعفر بن أبى طالب وأصحابه رضى الله عنهم. (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد شغلوا عن أنفسهم اليوم)

وعلى كل فالمواساة تكون بكل ما فيه خير للناس ، فتكون بالمال ، وتكون بالجاه ، وتكون بالنصيحة والارشاد ، وتكون بالدعاء والاستغفار . ولعل ماتفعله الملائكة وقد أخبر به القرآن الكريم هو مواساة للمؤمنين .

قال الله تعالى : (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ، ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم. وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم »

فكن مواسياً للناس رحيما بهم ، عالماً بأن مواساتك للمحزون بلسم ومرهم لجراح قلبه ، وكاوم نفسه ، فكم من محزون فرّج همه كلام أخ يحزن لحزنه . ويفرح لفرحه .

واعلم أن الذى يحضر مأتماً ويظهر بين الناس بمظهر المحزون المتألم يعد مواسياً لأسرة الفقيد وإن لم يكن في الحقيقة محزوناً . ومن ضحك وظهرت عليه علائم السرور فى هذا الموقف عدّ شامتا ، أو على الأقل سيء الأدب ، فاقد المروءة . جاهلا بأداب اللياقة ، بعيداً عن أدنى درجات الذوق السليم .

جعلنا الله ممن يتعرفون الحكمة ، ويعملون بها ، ويتباعدون عما ينافى الدين والمروءة ، إنه هو الهادى إلى سواء السبيل .

٤٨ جهالة الناس فى طلب الرزق وحرصهم على الدنيا

الرزق مضمون مقسوم منذ الأزل — التكالب على الدنيا لا يزيد في الرزق شيئاً ـ ربّ جاهل غنيّ ـ وربّ زكى شقيّ ـ انهماك الانسان فى طلب المضمون (الرزق) وغفلته عما ليس مضمون (أمر الآخرة) — الحرص لا يزيد صاحبه إلا تعبا ـ كيف يطلب المؤمن الدنيا والآخرة ـ الفرح الحقيقى هو عمل ما ينال به فضل الله ورحمته ودليل ذلك — آثار عقيدة الأرزاق فى نفوس الناس — مصدر هذه الفتنة هو غواية الشيطان — تصديق الناس لوعد الشيطان ـ وتكذيبهم وعد الرحمن .

قال الله تعالى : (أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون »

... هذا كلام الله الكريم يعرّفنا معشر بنى آدم أن الله تبارك وتعالى قد ضمن لنا الأرزاق وقسمها بيننا تقسيما عادلا على وفق علمه ومشيئته ، ونحن عن هذا غافلون .

نتفانا فى طلب الدنيا ، وفى العمل ليلا ونهارا لكسب الغنى والثروة ، ظانين أن الغنى موقوف على كثرة العمل ، مع أن الحقيقة ما نطق به القرآن ، وهو أن لكل إنسان رزقا مقسوما لا يحتاج فى الحصول عليه إلا إلى مجرد التماس السبب

أما التكالب على الدنيا ، وأما النصب والغفلة عن حقوق الله ، وأما . . . وأما . . . كل أولئك لا يزيد في الرزق شيئا .

فكم رأينا ضعفاء جهلاء لا يعرفون فى تصريف أمور الحياة شيئاً وهم مع

هذا موفورة أرزاقهم ، مقبلة عليهم دنياهم من غير حول ولا قوة .

وكم رأينا من عقلاء أزكياء عارفين تصاريف الأمور ولكنهم على زكائهم وعلمهم ضيقة أرزقهم منحوسة طوالعهم ، لاينالون إلا ما كتب لهم في لوح المقدور .

وإذا كان ذلك كذلك فالأولى بالعاقل « وقد عرف حقية الأمر مما أوحى به الله إلى أنبيائه » الأولى به أن يطلب رزقه في إجمال واطمئنان ، عالماً أنه لن ينال إلا ما قسم له . ثم يعلم أن هذا الذى ناله من الرزق لم يكن ليفلت من يده وأنه مضمون ضماناً موثوقا به من الله تعالى ، ثم يفرغ جهده فيما ليس بمضمون « وهو النجاة من هول الآخرة » حتى يطمئن قلبه من ناحية أخراه — كما اطمأن لضمان الله من ناحية دنياه .

ولكننا مع الأسف الشديد نشاهد عكس هذه القضية ، فنرى الناس يتكالبون على طلب المعيشة تكالباً ينسيهم أمر آخرتهم ، بل إنك إذا شاهدت صراعهم وتناحرهم فى طلب الدنيا اعتقدت أنهم اعتبروها آخرة لهم ودنيا في وقت واحد .

والطريقة المثلى التى يجب أن يكون عليها المؤمن حقاً هي أن يعمل للدنيا وهو على يقين من أنه مهما بذل من الجهد فلن ينال إلا حظه المقسوم له من قبل أن يخلق ، ولن يزيده الحرص إلا تعباً ونصبا .

وأن يعمل للآخرة وهو خائف من التقصير باذلا جهده فى تحصيل الأجر متوخياً السير على الطريق القويم ، والصراط المستقيم .

وهو في كلتا الحالتين معتمد على حول الله وقوته ، مستعيناً به ، عارفا أن خير الدنيا والآخرة ومفاتيح السعادة في يد الله تعالى ، فبهذا يطمئن قلبه على

أرزاقه في الدنيا . ويطمئن قلبه لمعونة الله في طلب الآخرة . ألا بذكر الله تطمئن القلوب

فاذا وطن نفسه على ذلك وحلت هذه العقيدة محل الأيمان من قلبه ، فانه لايحزن على فائت من الدنيا ، ولا يفرح لغاية ينالها منها ، بل يكون فرحه دائما بما قدم من عمل صالح ينال به ما عند الله من فضل ورحمة ، فالله تعالى يقول : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، هو خير مما يجمعون »

لو أن المسلمين علموا هذا واعتقدوه يقيناً ما رأيت مسلماً يعادى أخاه ولاينافسه ويزاحمه مستعليا عليه يريد الانفراد بالخير دونه ، وكيف يصنع ذلك بعد أن علم أن ما قدر له من رزق سيناله ؟ ! ! وأن ما ليس مقدوراً له فلا سبيل اليه ، وأن الدين ينادى بأن الأرزاق مضمونة مقسومة من الأزل فلا معنى للمحاربة عليها ؟ ! !

فأفيقوا أيها المسلمون ولتطمئن قلوبكم ، فالشيطان هو الذى يخوفكم من الفقر ويحملكم على الحرص ومعاداة بعضكم بعضاً ، واسمعوا قول الله تعالى وهو يكشف لكم عن هذه الحقيقة بقوله عز وجل : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم »

فانظروا كيف صدقتم الشيطان وآمنتم بما خوفكم منه فقبضتم أيديكم عن عمل البر والاحسان وتكالبتم على الدنيا وخالفتم وعد الله بالسعة والرحمة ! ! فكانت النتيجة أنكم لم تنالوا من الدنيا « مع التفريط في الاثم والعدوان » إلا ما كان لكم . وأصبحتم فى حرب مع أنفسكم ، فلا راحة نلتم فى الدنيا ولا للآخرة ادخرتم ! ! ومن خسر الدنيا والآخرة فقد حاق به الخسران المبين .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من القانعين بما قسم وأن يقينا شر الدنيا وهمومها ، وأن يوفقنا إلى طاعته ويبعد عنا نزغات الشيطان إنه على كل شىء قدير .

(٤٩) الأعياد فى الاسلام وحكمتها الدينية والاجتماعية

إحتفال جميع الأمم الاسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها بعيد الفطر وعيد الأضحى — مظاهر العيدين تؤيد الرابطة الروحية بين جميع المسلمين — الحكمة الدينية فى العيدين — الحكمة الاجتماعية فى العيدين — أمراض الأمم الاسلامية هي أمراض الأفراد — التحاب أساس الدين ودعامة الايمان — الوحدة العربية بشائر الفلاح والنجاح للمسلمين .

. . . تحتفل الممالك الاسلامية فى مشارق ومغاربها وتبتهج باستقبال عيد الفطر وعيد الأضحى المباركين — وهذه المظاهر الابتهاجية فى ممالك الاسلام فى آن واحد دليل على الرابطة الروحية ، رابطة العقيدة والدين ، وهى أهم رابطة فى الوجود

ويذكرنا هذان العيدان بما كان لهما من العظمة والجلال فى صدر الاسلام حين كانت قلوب المسلمين متحدة ومجدهم شامخاً وعزهم غالباً .

ألا فليعلم المسلمون أن الله تعالى جعل للأعياد الدينية حكماً وأسراراً . منها ما هو دينيّ ، واجتماعى ، ومنها ما هو اجتماعى خالص .

فأما الحكمة الدينية فى كل من عيد الفطر وعيد الأضحى فهى الراحة والتمتع بالطيبات من الرزق عقب ما نال المسلم من المجهود فى الصوم وفى أعمال الحج ومشاقه ، فيغتبط المسلم ويمتلأ فرحا لأن الله أقدره على القيام بتلك العبادات على أكمل وجوهها .

وأما الحكمة الاجتماعية فى كلا العيدين ، فهى التوسعة على الفقراء وذوي الأرحام وإشعارهم بأنّ لهم نصيباً في مال الأغنياء والموسرين ، وبذلك يزول شبحُ الجوع والبؤس من البلاد الاسلامية بفضل تعاليم دينهم القويم .

وعيدُ الأضحى المبارك بصفة خاصة ينطوى على حكمة اجتماعية كبرى يتوقف عليها سيادةُ المسلمين وسعادتهم وعزهم وحريتهم ، ذلك أن بيت الله الحرام يفدُ إليه كل عام مئات الألوف من الشعوب الاسلامية على اختلاف مواطنها وتباعد ديارها . يجتمعون فى زمان معين ليكون هذا الاجتماع مبيناً للتعارف بين المسلمين وتقوية الروابط بين ملوك الاسلام وأولى الرأى منهم . وفى هذا المكان المقدس يتبادلون الآراء الصحيحة فى تقوية جانبهم واتحاد كلمتهم ، ليكونوا جميعاً جبهة واحدة فى وجه من تحدثه نفسه باغتصاب ملكهم أو التعدى على حريتهم

هذه هي الفكرة الاجتماعية للحج ، فهل قام ملوك الاسلام بتنفيذ ما أرشد إليه دينهم ؟ أم تقاطعوا وتدابروا وتفرقت كلمتهم حتى طمع فيهم الأجنبى ؟ وأصبحوا وكل دولة اسلامية ويا للأسف تخضعُ لدولة أجنبية تصدر عن رأيها ؟

وهذا التفرق والتنابذ الذي منى به ملوك الاسلام فأضعفهم وأذلهم هو بعينه الداءُ الذى أصاب أفراد المسلمين فأظلمت به قلوبهم وأصبحوا متدابرين تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى .

وكان يقتضيهم الدين أن يكونوا جسما واحداً متحابين لا لأن الحب بين الناس يجعل الحياة طيبة . بل لأن الحب يتوقف عليه الأيمان الصحيح ، فاذا زال الحب من نفوس المسلمين بعضهم لبعض فقد فقدوا الأيمان وحرمت عليهم الجنة .

يقول الرسول الكريم ﷺ فى تقرير هذا الحكم « لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولن تؤمنوا حتى تحابوا »

وليس الحب هذا هو العطف القلبى بل هو أن تريد لغيرك ما تريده لنفسك وأن تجعل نفسك ميزاناً بينك وبين الناس .

فلو أن المسلمين ملوكا وأفراداً مشوا على منهج الدين لكانوا أعز خلق الله

جانباً وأطيبهم عيشاً وأهداهم بالا . ولكانوا أبعد الناس عن الرزايا والمصائب التى تنتابهم اليوم بلا رحمة ولا شفقة ، وما ظلمهم الله ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون.

هلموا أيها المسلمون وأقبلوا على قلوبكم فطهروها من الأحقاد والسخائم ، وأحلوا مكان ذلك حبّاً ورحمة وصفاءً يتجلى الله عليكم برضوانه ، ويغدق عليكم نعمه ظاهرة وباطنة .

أيد الله المسلمين . وجمع كلمتهم ، ووحد غايتهم حتى يعود للاسلام مجده القديم ، وفخاره العظيم . فها هى بشائر الفلاح قد بدت بتأليف (الوحدة العربية) التى جمعت بين ممالك الشرق .

جعلها الله فاتحة نصر جديد ، وعز مديد ، للاسلام والمسلمين .

(٥٠) التذكير بالله واليوم الآخر

وظائف الرسل — الصالحون والعصاة — وما أعدّ لكلّ — صفة أهل الجنة وصفة أهل النار — ترغيب وترهيب — آيات قرآنية .

قال الله تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم ، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد .

. . . إعلموا أن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس عبثاً ، ولم يتركهم هملا ، بل فطرهم وأسكنهم الأرض لحكمة عالية ، وغاية سامية ، وأرسل رسله مبشرين ومنذرين ، يعرفونهم ما لهم وما عليهم ، ويفهمونهم عظمة الله ووحدانيته ، ويذكرونهم بالرجعة إليه تعالى بعد انقضاء الدنيا وفنائها ومحاسبتهم على ما عملوا

وأعد للمحسنين جنات يحار العقل في تصوّر جمالها . وأعد للعاصين نارا تقشعر الجلود من أهوالها .

فأما أهل الجنة فهم فى نعيم دائم ، وسرور شامل، متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا .

كما أن أهل النار في عذاب دائم ، وشقاء ملازم . يسحبون فيها على وجوههم ويساقون إليها خاشعين من الذل ، تتلقفهم ملائكة العذاب ، كلما نضجت جلودهم بدّلوا جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب بما كانوا يكسبون .

قال تعالى : (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم ، إنهم كانوا قبل ذلك مترفين ، وكانوا يصرون على الحنث العظيم ، وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ، قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم . ثم إنكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم ، فمالئون منها البطون ، فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين)

ولا مراء في أن الحياة فترة قصيرة الأمد ، يتوقف عليها سعادة المرء أو شقاؤه إلى الأبد ، فمن عمل صالحاً فى دنياه وحرص على الحياة فلم يصرفها إلا فى عمل صالح ينفعه ، وجهاد فى سبيل الحق يرفعه ، فقد وفق إلى الحسنى ، ومن شغلته الدنيا بزخرفها الباطل ، وحطامها الزائل ، عن العمل لما فيه نجاته ، فقد عرض نفسه للهوان ، يوم لا يؤخذ منه فدية ولا يقبل منه اعتذار .

وهل يستوى المحسن والمسىء فى المكافأة والجزاء ؟ وهل فى شرعة العدل والانصاف أن يكون الأشرار كالأبرار على السواء ؟ كلا : تنزه الله سبحانه وتعالى عن الظلم ، وهو أعدل الحاكمين . كيف وهو يقول : أم حسب الذين

اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم؟ ساء مايحكمون)

وقال جل شأنه : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ مالكم ! ! كيف تحكمون » ! !

ومما يملأ النفوس فزعا ورعبا أن الله تعالى يتجلى على العصاة والظالمين بصفات قهره وجبروته . وأهل النار يعلو صراخهم وعويلهم ، ويرتفع بالصوت بكاؤهم ونحيبهم . ويطلبون الرجوع إلى الدنيا ليتداركوا ما فرطوا فيه . ويعملوا على تلافيه ، فيجيبهم جبار السماوات والأرض قائلا : (إخسئوا فيها ولاتكلمون)

قال الله تعالى : (وجيء يومئذ بجهنم ، يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى ، يقول ياليتني قدمت لحياتي ، فيومئذ لايعذب عذابه أحد ، ولايوثق وثاقه أحد)

وقال جل شأنه : (إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآبا ، لابثين فيها أحقابا ، لايذوقون فيها برداً ولا شرابا ، إلا حميما وغساقا ، جزاء وفاقا ، إنهم كانوا لايرجون حسابا ، وكذبوا بآياتنا كذابا ، وكل شيء أحصيناه كتابا ، فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا)

كما أن القلب يكاد يطير فرحا إذا عرف أن أهل السعادة من الطائعين ، في روح وريحان وجنة نعيم ، في جنة فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، يتسامرون ويتذاكرون شئونهم حينما كانوا في دنياهم وهم على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين ، فيرون أنهم بحبس النفس عن شهواتها ، وقهرها عن أداء واجباتها في مدة قصيرة نالت عزاً مقيما ، وملكا عظيما فتستقل ماعملت ، وتستعظم ما منحت .

ولقد صدق الله تعالى حيث يقول : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا) وقال جل شأنه: (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ؟

إسم الكتاب	أجزاؤه	صفحاته	موضوعه	ملاحظات
السمير الواعظ	الأول	٢٨٨	٢٢	مطبوع و نفد
» »	الثانى	٢٨٠	٦٨	مطبوع
جداول الميراث الشرعى				»
مفكرة القرن العشرين				طبعت و نفدت
الأسراء والمعراج		٣٠		مطبوع
تبيان غريب القرآن		٥٥٣		لم يطبع بعد
الوعظ الدينى		١٠٠	٥٠	نشر في (الشفق
الحقوق والواجبات		١٣٧		لم يطبع بعد
المحاضرات الدينية			شتى	» »
عجائب خلق الله في الأرض والسماوات		٣٠٠	»	» »
إرشاد العباد إلى طريق الرشاد	الأول	٢٢٣	٣٥	» »
» » » » »	الثاني	٢٢٩	٣٨	» »
الحث على الفضيلة واجتناب الرذيلة		٥٣١	١٣٥	» »

الموعظة الأخلاقية — دروس التوحيد — الفقه فى ركعة — الوعظ الطرف والملح — العلوم والمعارف فى جداول — أقوال الأطباء فى الداء والدواء